# إرهاب الحرب على الإرهاب؟!

15-9-2003

**ولم نسمع قط في التاريخ بأمة شريفة فتحت صدرها لمستعمر أتاها غازيا بخيله ورجله يدّعي تحريرها وهو يدكّها في عقر دارها مغتصبا ممتهنا سارقا خيراتها وثرواتها, تاريخها وحاضرها ومستقبلها!.**

**بقلم نوال السباعي**

ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها الدول الحليفة التي تريد دخول التاريخ من بوابته الخلفية باسم مكافحة الإرهاب, ليس إلا محاولات يائسة للصراع مع أمة أثبت التاريخ أنها لا يمكن أن تتلاشى وإن كان من المعروف تاريخيا أنها سقطت مرارا مثخنة بالجراح شبه القاتلة.

إنه أشبه ما يكون بمحاولات يائسة للصراع مع أسود جريحة لا تلبث أن تستعيد عافيتها في كل مرة وتقف على أقدامها تلعق جراحها وترابط على مداخل أوكارها تحمي صغارها من الدخلاء بانتظار أن يستطيع هؤلاء الصغار بدورهم أن يقفوا على أقدامهم ويحموا وجودهم بأنفسهم.

الحرب على الإرهاب كان ينبغي أن تبدأ بالتحقيق النزيه المنصف في أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي يعتقد أكثر من ثلاثة أرباع المعمورة أنها عمليات سكتت عنها إن لم تكن ساعدت في التخطيط غير المباشر لها المخابرات الأمريكية المركزية نفسها على غرار ما حدث في اليابان قبل ستين عاما عندما ضربت قاعدة "بيرل هاربر" ليكون ضربها مبررا هائلا لإعلان الحرب على اليابان واستعمال القنبلة الذرية في هيروشيما, وتأتي تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر لتؤدي الدور نفسه في تبرير غزو الولايات المتحدة للخليج العربي عن طريق بوابة العراق المستباح, ومن ثم القضاء على الانتفاضة الفلسطينية التي باتت تهدد بشكل لا يقبل الجدل ليس أمن اسرائيل فحسب وإنما قيامها ووجودها ومهمتها في المنطقة العربية, وكذلك وبالجملة القضاء على هذه الصحوة الإسلامية المتنامية والتي ترفد الانتفاضة على الأقل بالدعم المعنوي البالغ الأهمية والذي افتقده الفلسطينيون خلال نصف قرن من جهادهم ضد هذا العدو الأخطبوطي. الحرب على الإرهاب لا تكون بمعاقبات جماعية للجاليات العربية والمسلمة المقيمة في الغرب اضطرارا أو لأن الغرب روّج لقدومها إليه استفادة من هذه اليد العاملة التي طورت عمرانه, ويبدو أن الوقت قد حان لتخرج من بين ظهرانيه بعد أن أدّت المهمة المحدودة التي كانت ملقاة على عاتقها, وقد أتت هجمات الحادي عشر من سبتمبر بالمبرر الممتاز الذي مكن أوروبا -التي ركبت الموجة بدورها - من إعلان الحرب على هذه الجاليات التي باتت تشكل هاجسا مقلقا للقوى السياسية المهيمنة في أوروبا والتي تتحسب من انقلاب خطير في التركيبة السكانية، وهو ما يعني من وجهة نظرها تغييرا أخطر في صناديق الإنتخابات والتي عن طريقها يتم وبصورة غير مباشرة تقرير

السياسات الخارجية لبلاد بدأت تعاني بالفعل من امتحان عسير في ضميرها الإنساني وديمقراطيتها ونزاهة حكامها وسياسييها وسياساتها.
الحرب على الإرهاب لا تكون بإهانة الأمم واذلالها والتحكم في توجهات حكوماتها والتي ساهمت باستبدادها وسوء إدارتها في وصول الأمة إلى هذا الحال, وجاءت اليوم تقف مواقف ذليلة معيبة تثير حتى شفقة المعارضين من أبنائها الذين شردتهم ومزقتهم كل ممزق في رحاب الأرض يوم مارست دورها في الاستئساد عليهم وهي لا تبدو اليوم أكثر من نعامة أمام تدخل القوى الأجنبية في شؤون البلاد والعباد, دون أن تستطيع القيام بدور تاريخي أخير مشرف يتمثل في استقالتها في زمن أثبتت فيه أنها عاجزة عن فعل شيء أو تقديم شيء لمواطنيها ..بل على العكس تماما لقد ركبت موجة الحرب على الإرهاب والتي للحق وللتاريخ نقول أنها كانت السباقة فيها حتى إن المراقب المنصف يدرك أن بعض الحكومات العربية قد فاقت حكومة الولايات المتحدة نفسها وبأشواط في القدرة على الإذلال والسحق والقتل والتعذيب وتدمير الأجيال والثقافة والهياكل العامة للبلدان التي حكمتها, وانتزاع القدرة لدى الأسود الجريحة فيها على الصبر والتفكير وإعادة الحسابات.
الحرب على الإرهاب لا تكون بإذكاء نيران الحقد والكراهية بين الشعوب, ولا بتأجيج أعاصير الغضب في نفوس أبناء الأمة الوحيدة التي لم يستطع أحد أن يقضي عليها ككيان ثقافي اجتماعي ووجود تاريخي من ألف وخمسمائة عام حتى اليوم, والتي تتمتع بقدرة مذهلة على تجديد نفسها وابتلاع آلامها والقيام من الكبوة مرة إثر مرة لتمشي على الجرح وتقاوم, وهي الأمة الوحيدة التي ثبت في التاريخ أنها لم تستطع قوة على وجه الأرض استئصالها ولا اجتثاثها ولا القضاء عليها ماديا ولامعنويا، بل لقد استمر الصراع مع أعدائها في ثغورها وجنباتها مئات من الأعوام متطاولة وعلى الرغم من الذبح والاستئصال والسحق بقي الوجود الجغرافي قائما وبقي العنصر الانساني مترقبا ينتظر, وهي دروس خطيرة علمها التاريخ لبني البشر الذين يبدو أنهم لم يتعلموا التاريخ بعد!.
المكان الوحيد في العالم والذي قضي فيه على العنصر الإنساني بالتطهير الديني والعرقي الكامل وتمّ القضاء فيه على وجودها الفيزيائي والعقدي كان الأندلس, لا لأن الأعداء في حينه تمكنوا من إحداث هذه النقلة التاريخية بالغة الأهمية ولكن لأن ممثلي الأمة في ذلك الحين وتلك الأرض كانوا قد انهاروا من الداخل وفقدوا مبرر وجودهم كجزء من هذه الأمة في تلك الأرض. وعلى الرغم من تلك الهزيمة التاريخية الرنانة والفريدة من نوعها في تاريخ هذه الأمة، فإن العنصر الانساني لم يستأصل لكنه انهزم قهرا نحو الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط وتشهد على ذلك حكايات الأحفاد, وطراز العمارة, ومفاتيح البيوت التي مازال الأبناء يحتفظون بها أبا عن جد, توارثوها عنوان حق اغتصب منهم قبل خمسمئة عام ومازالت القضية في ذمة التاريخ تنتظر التحقيق فيها.
يبدو أن الكثيرين اليوم بحاجة الى قراءة التاريخ من جديد, كثيرون كذلك يحتاجون إلى مراجعة موسوعات الثروات الحيوانية والإطلاع على أخلاق الأسود والذئاب, لأنها تعتبر في عرف علماء الحيوان من أشرف المخلوقات الموجودة على الأرض على الرغم من وحشيتها ودمويتها, لأنها لا تعتدي إلا على من يعتدي عليها ولا تقتل إلا لتأكل وفي حالات الجوع القصوى.

كثيرون يحتاجون في خضم هذا الإرهاب الذي عمّ عالمنا اليوم إلى مراجعة حساباتهم وشعاراتهم في هذه الحرب التي أعلنت على العرب والمسلمين باسم مكافحة الإرهاب, وعليهم هم أن يُعَرِفوا لنا هذا الإرهاب الذي أصبح يطحن كل ذي ضمير حي, كل رافع لصوته في وجه هذا الطغيان الأعمى للقوة, كل رافض للانصياع إلى غسيل النفوس والعقول, بل والأدهى والأمر أنهم استهدفوا كل حرّ شريف رافض لاستعمار أرضه وامتهان أمته واستلاب حقه وإهانة دينه واحتقار قومه ووطنه.حتى إن مقارعة المستعمر صارت ارهابا !! ولم نسمع قط في التاريخ بأمة شريفة فتحت صدرها لمستعمر أتاها غازيا بخيله ورجله يدّعي تحريرها وهو يدكّها في عقر دارها مغتصبا ممتهنا سارقا خيراتها وثرواتها, تاريخها وحاضرها ومستقبلها!.

لم نسمع في التاريخ أن اسبانية رحبت بالمستعمر الفرنسي, وأن ألمانيا فتحت ذراعيها لاستقبال المستعمر الأمريكي وحلفائه, ولم نسمع بأن الإيرلنديين وضعوا أسلحتهم ورضوا بالإحتلال الابريطاني إلا بعد أن تحقق لهم العيش الشريف في ظل الإعتراف الصريح بحقهم في الحياة وتقرير المصير!.

لم نسمع في التاريخ عن أحد نعت المقاتلين دون ديارهم وأوطانهم إلا بالبطولات الخارقة واسألوا "غويا" الرسام الإسباني الشهير الذي خلد ذكرى القتلى الإسبان الذين قتلتهم فرنسا في ساحة اسبانية في مدريد في لوحته الشهيرة التي حملت اسم "الشهداء"؟ واسألوا "بيكاسو" عن "الغيرنيكا" التي ذاع صيتها في العالم والتي حكى فيها -معلناً رفضه القهر والذبح والامتهان- قصة قصف الطائرات الألمانية الغازية المتوحشة لمدينته الحالمة الساحرة تلك؟ واسألوا فرنسا عن "شهداء" "فيكتور هوغو" الذي أفرد لهم كتابه "البؤساء" وقصّ فيه على العالم بطولات جنوده في "واترلو" الشهيرة ؟.

أهو حلال على أمم الأرض أن تستبسل في الدفاع عن شرفها حرام علينا نحن العرب والمسلمون وحدنا من دونهم جميعا ؟!! أم أن إرهاب الحرب على الإرهاب قد بلغ من العمى والحمق والإغترار بأكاذيبه الاعلامية أن صدقها ؟!.

إن هذا الضغط الهائل المسلط ظلما على أمة تتفجر براكين الغضب في باطنها سيجعل الأيام حبلى بما لا يخطر على بال أحد, وإن للأمم قدرة معينة على الصبر والإحتمال وضبط النفس, وإن الظلم لن يعود على الغزاة ولاعلى طوابيرهم الداخلية إلا بالعواقب الوخيمة, وإن هذه الحملة العالمية لدكّ حصون هذه الأمة باسم مكافحة الارهاب ليست إلا أقسى حملة إرهابية فكرية سياسية ثقافية عسكرية شهدها التاريخ لأنها وباسم الحرب على الإرهاب تمارس إرهابا قذرا على هذه الشعوب التي غرقت في مستنقعها الداخلي فما عادت قادرة على وضع حد لكل هذا الحجم من الإهانة والقهر والإرهاب.

** تحية للزميل "تيسير العلوني" الذي يمارس اليوم في سجون مدريد التعلم على مجاراة من لا يعرف أن مراقصة الذئاب أمر في غاية الخطورة!!. بصرف النظر عن المعتقدات السياسية, والتوجهات الفكرية, والأداء المهني, والنزاهة التي يؤدي بها العلوني واجبه الصحفي والتي يصعب على المراقب المنصف أن يشكك فيها, فان

اعتقال تيسير علوني لا يأتي في الإتجاه الصحيح بالنسبة للحلف الارهابي الغربي الذي يوجه دفة السياسات في العالم الغربي والذي يدعي اعلان الحرب على الارهاب!.